

### ﴿ باب الفقه في أحكام الدين ﴾

( مواقيت العبادة من الصلاة والصيام والحج )

بمنا الله خاتم النبيين للناس كافة ومنهم البدو والحضر والأيمنون والمتعلمون والفقراء دون  
والمجتمعون وقد ساروا سبحانه في هذا الدين الأخير بين الناس في التكليف فلم يجعل فيه  
رؤساء وصرء وسين يكلف بعضهم بما لا يكلف به الآخر ولم يجعل عبادة أحد متعلقة  
بعبادة الآخر حتى إن إمام الصلاة إذا عرض له ما أبطل صلاته كان للمؤمنين أن  
يتموا صلاتهم فرادى وإذا تقدم واحد منهم فأتم لهم الصلاة جماعة جاز وكل من صحت صلاته  
صحت إمامته فليس في الإسلام طوائف ولا بيوت ممتازة بالرياسة الدينية كما في الديانات  
الأخرى حتى اليهودية والنصرانية ولهذا جعل الله تعالى مواقيت العبادة في الإسلام متعلقة  
بالمشاهدة التي يستوي فيها العالم والجاهل والبدوي والحضري لا بحساب الحاسنين والفلكيين  
ولا بإرادة الرؤساء والحاكمين فوق صلاة الفجر يدخل بطولوع الفجر الصادق ووقت  
الظهر بزوال الشمس الذي يعرف بالظل ووقت العصر حين يكون ظل كل شيء مثله ووقت  
المغرب بالغروب ووقت العشاء بذهاب الشفق الأحمر ويعرف شهر الصيام برؤية الهلال  
فإن لم ير فإتمام شعبان ثلاثين يوماً وكذلك شهر الفطر وأشهر الحج ولذلك قال تعالى  
« يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج »

وقد مضت السنة بأن يرقب المؤذن في البلد المواقيت للصلاة ويؤذن بها في الناس  
أي يعلمهم بها فيعملون بأعلامه ويصون السكيا لا يتكلف كل واحد من المجتمعين في البلد  
مراقبة الاوقات وكذلك وقت الصيام إذا رأى بعض المسلمين الهلال يذاع خبر رؤيته  
إياه في البلد ويصوم الناس تصديقا له كما يصدق الواحد في مواقيت الصلاة التي تكون

مواقيت للصيام في أيامه ولياليه إذ تعتمد على أذان الواحد في الأمسك صباحا والفطر مساء لا فرق بين ثبوت شهر الصيام وثبوت وقت الصوم ووقت الفطر في كل يوم من أيام الشهر . ولا عبرة باحتمال كذب المخبر عقلا إذا لم يكن ثم شبهة أو دليل على كذبه كأن يؤذن للمغرب وأنت ترى شعاع الشمس على الجدران . ويدل على عدم الفرق بين ثبوت شهر الصيام وثبوت أوائل أيامه ولياليه لأجل الأمسك والفطر ما ذكرناه في جزء المتار الذي صدر في غرة رمضان من العام الماضي ومنها حديث ابن عباس عند الشيخين وأصحاب السنن وهو : جاء أعرابي إلى النبي (ص) فقال إني رأيت الهلال يعني رمضان فقال « أتشهدان لإله الألف » قال نعم قال « أتشهد أن محمدا رسول الله » قال نعم قال « يا بلال أذن في الناس فليصوموا غدا » وغير ذلك من أحاديث الرؤية أو إكمال العدة

طريقة إثبات رمضان في أمصار المسلمين

لو جرى المسلمون على السنة لاستهل بعض المعروفين بالعدالة منهم ليلة الثلاثاء من شعبان كما يستهلون في البوادي فإذا رأى المستهل الهلال أمر الإمام أو نائبه المؤذنين بإعلام الناس بذلك وأن يصوموا ولكنهم أبوا إلا أن يحطوا بإثبات رمضان بالرؤية منوطا بالحكم وأن يتدعوا طريقة لم تعرف في السنة وهي أن يزوروا دعوى ويحكم القاضي فيها بإثبات الشهر ويباع الناس حكمه ولا يرون العلم بأن الدعوى مزورة والرضى بها والحكم فيها طعنا في عدالة القاضي والشهود حتى لا يقبل قولهم في إثبات رمضان ولا في غيره . بل قضت قواعدهم الفقهية بأنه لا طريقة للإلزام الناس بالصيام إلا هذا لأن حكم القاضي يرفع الخلاف في المسائل الاجتهادية فلا يجوز بعده لأحد أن يعمل باجتهاده في المسألة التي حكم فيها . ويرون أن شهادة الشهود أمام القاضي برؤية الهلال لا تكفي لإسلام الناس وأمرهم بالصوم كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون وأصحابه الهداة المهديون وشبهتهم أن الأخبار برؤية الهلال لا إلزام فيها وإنما يجب فيها الصوم على من صدق الخبر وأما الحكم فيجب على كل أحد الخضوع له . وكشف هذه الشبهة أن السنة دلت على أن من سمع خبر رؤية الهلال وجب عليه الصيام كما لو رآه فالأخبار بالرؤية كالإخبار بالحكم المبني عليها يجب العمل به على من صدق الخبر ولا يجب على من لم يصدق فإذا كان

المؤذن أو المؤذنون أو الحكام هم المخبرون بان بعض الناس وأوا الهلال فان كل الناس يصدقون الخبر بشهادتهم وكل من لا دليل عنده على كون الشهادة كاذبة فهو يصدق الشهود أيضا ومن قام عنده الدليل على كذب الشهادة فإنه لا يصدقها ولا يعتبر الحكم الذي بني عليها لأن النبي على الفاسد فاسد . والحكم بوجوب الصوم لا يلزم فيه لأن الصوم معاملة بين الصبور به والعمدة فيها الاعتقاد فإذا حكم كل قضاة الأرض بأن الشمس غربت وأنا أراها أو أرى شعاعها فلا يجوز لي أن أفطر ولا أن أصلي المغرب . وأنا أصلي كل يوم اعتماد على إخبار المؤذن وأفطر في كل يوم من رمضان عنده سماع مدفع المغرب أو أذان المؤذن وكذلك يفعل جميع المسلمين في المدن والأمصار . فأي دليل في الشرع على التفرقة بين الإخبار بأول يوم من رمضان والإخبار بمواقيت الإمساك والأفطار في سائر أيامه ومواقيت الصلاة والحج ، وما هو المسوغ لتزوير دعوى لإثبات العبادة

إذا قالوا يجب العمل بما مضت به سنة الشارع نقول ان كتب السنة الصحيحة بين أيدينا ناطقة بأن رؤية الهلال كانت عندهم كروية الفجر من رأى يخبر والمؤذن يبلغ الناس دخول رمضان كما يبلغهم دخول وقت الصلاة بمعرفة أو بإخبار بعض المؤمنين له وفي الحديث الصحيح « إن بلا لا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى تسموا أذان ابن أم مكتوم » وكان رجلا أعمى لا يؤذن حتى يقال له أصبحت أصبحت . وفي لفظ ينادي بدل يؤذن وهو متفق عليه من حديث ابن عمر صرفوا وروى مسلم والترمذي واللفظ له وغيرهما من حديث سمرة بن جندب قال قال رسول الله (ص) « لا يؤذنكم من سحوركم أذان بلال ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير في الأفق » وإذا قالوا إن إخبار المؤذن ليس بتمرط وفي معناه كل إعلام كالمدافع في هذا الزمان وإنما الأذان سنة متبعة في الإعلام بمواقيت الصلاة فقط وأن شارك الصوم الصلاة في بعضها فبالبيع : نقول ان هذا كلام معقول مقبول ولقد كان إخبار المؤذن بدخول رمضان على عهد النبي (ص) عن شهادة بعض المؤمنين بروية فلتمكن المدافع وما في معناها من طرق الإعلام عن شهادة أشبه وأمام القاضي ودعوا هذه البدعة التي جرت عليها . ولعلم أن الشهادة عند القاضي لأجل الضبط والثقة بالإخبار ولو شهد الشهود وعند الوالي ( كخديوي مصر ) أو نائبه الإداري كناظر الداخلية أو المحافظ وأمر بإعلام الناس حصل المقصود

### عمل العمل بخبر التلغراف والتلفون

وإذا جاز العمل بصوت المدفع أو بإيقاد القناديل في المآذن ونحوها وإطفائها إذا جرت العادة بجمل ذلك علامة على الصوم والظفر فلا شك أنه يجوز العمل بخبر التلغراف والتلفون لاسيما إذا كانا من عمال الحكومة حيث يؤمن التزوير ويغلب على الظن الصدق لأن الحكومة تماقب عامل التلغراف إذا كذب أو زور عقوبة شديدة فمخبره بوجب العلم الراجح الذي يعمل به في الأحكام كخبر المؤذن وصوت المدفع ونحو ذلك وقد تمدد طرقه فيوجب العلم اليقين كالتواتر الحقيقي بل إن التلغرافات الرسمية لا يرتاب أحد في صدقها كما هي حتى في الأمور السياسية وإن جاز أخطأ فيها عقلا كالكتابة وغيرها من ضروب الخبر والتبليغ

### إثبات رمضان في مصر

اجتمع في ليلة الثلاثاء من شعبان وهي ليلة الثلاثاء قاضي مصر وأعضاء المحكمة الشرعية وبعض العلماء لسماع شهادة المستهين حسب العادة فلم يشهد أحد بأنه رأى الهلال على كثرة المستهين، وانتظار الجائزة للشاهدين، وذلك أن رؤيته كانت مستحيلة كما علم من الحساب الفلكي القطعي ولقد كان جميع المارفين يمتدرون بوقية الهلال يعتقدون اعتقاداً جازماً بأن من يشهد برؤيته يكون كاذباً في شهادته ومنهم بعض أعضاء المحكمة الشرعية. وفي نهار تلك الليلة ورد على قاضي مصر نلغراف من قاضي الفيوم الشرعي يقول فيه أنه شهد عنده شاهدان بروية الهلال ليلة الثلاثاء وحكم بذلك ويمهد إليه بأن يبلغ الحكومة ذلك لتبلغ الناس فقال قاضي مصر إن خبر التلغراف لا يعمل به شرعاً وهو لا يشك في أن التلغراف الذي جاءه هو من قاضي الفيوم الشرعي ولذلك خاطبه بالتلغراف وهو لا يشك في وصوله إليه وتصديقه إياه بأن يرسل إليه الشهود الذين شهدوا هناك ليشهدوا أمامه هنا فحضروا وشهدوا ولففت الدعوى المتأداة وحكم قاضي مصر وبلغ الحكومة بأنه ثبت عنده أن هذا اليوم (الثلاثاء) أول رمضان وعهد اليهان بخبر الناس بذلك فأمرت بإطلاق المسافعين في القاهرة فأطلقت وبلغت سائر البلاد بالتلغراف فمن بانه الخبر في النهار وصدق الشهادة والحكم أمسك نهاره وقليل ما هم وأصبح المسلمون يوم الأربعاء سائمين معتقداً أكثرهم أنهم أفطروا يوماً يجب عليهم تضاؤه وطلق أهل العلم والفهم من الخواص

يتحدثون متعجبين مما حصل لأعتقادهم بأن روية الهلال كانت من المحال وان خبر قاضي الفيوم بنبوت الشهر هو كخبر قاضي مصر لافرق بينهما شرعا فلماذا أعلن إثبات الشهر بالتفراف والمدفع عند ما شهد الشهود أمام قاضي مصر ولم يعلن عند ما شهدوا أمام قاضي الفيوم كلاهما قاض شرعي وطريقة الإثبات واحدة وطريقة إعلانه واحدة فهل صارت العبادة الإسلامية متوقفة على رئيس مخصوص يصحح على يده مالا يصحح على يد غيره ونحن نعلم أنه لم ينطق الكتاب الألهي ولم تفض السنة النبوية ولا عمل السلف الصالح ولا قال الأئمة المجتهدون بأن عبادة الصيام أو غيرها تتوقف على حكم شرعي أو على أمر رئيس ولا حاكم ولهذا لا يجوز القضاة لانفسهم الحكم بإثبات شهر رمضان ابتداء بل يحملون إثباته تبعاً للحكم بقضية من المعاملات لعلمهم بأن العبادة لا تتوقف على حكم الحاكم إجماعاً وإنما جرت العادة بأن يشهد المستهلون بروية الهلال عند الحكم لانهم هم الذين يتيسر لهم إعلام الناس بذلك حتى لا يكلف كل واحد بتأني الروية كما يستقنون بأذان المؤذن عن تعرف الاوقات بانفسهم ولا فرق بين الاعلام بمواقيت الصلاة ووقت الصيام الا من جهة واحدة وهي أن الشرع تبيننا بأن يكون الاعلام بمواقيت الصلاة بألفاظ مخصوصة هي كلمات الاذان أي انه جعل هذه الكلمات عبادة وشعاراً دينياً لانه جعلها شرطاً للصلاة أو للعلم بوقتها

### العمل بحساب الحاسين في العبادة

اختلف الفقهاء في العمل بحساب الحاسب في إثبات رمضان فقال بعضهم لا عبرة به مطلقاً وقال آخرون ان الحاسب يعمل هو بما ثبت عنده ولا يعمل غيره بخبره وقال بعضهم يعمل به من صدقه - حجة المانعين أن الشرع ورد بمحصر إثبات دخول شهر الصيام بروية الهلال والافياكال عدة شعبان ومن ذلك حديث ابن عمر (رض) عند البخاري ومسلم وابي داود والنسائي مرفوعاً: «إنا أمة أمية لانكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا» يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين. والحكمة في ذلك ظاهرة وهي أن تكون طريقة إثبات العبادة واحدة تسهل على كل مكلف وأن لا يكون لبعض الناس من الرؤساء أو العلماء أو الحكام سلطة دينية تتوقف عليها العبادة على أن حسابهم يحظى أحياناً بدليل اختلافهم فيه، وحجة المجوزين ان المقصود

العلم بدخول الشهر كالمعلم بدخول وقت الصلاة والاحاديث الواردة بالرؤية واكل  
السنة لاتتفي طرق العلم الأخرى كما أن الاحاديث الواردة بمعرفة وقت الظهر ووقت  
العصر باظن لاتتفي معرفة ذلك بالحساب . ويمكن منع جهل اثبات العبادة خاصة  
بعض الحاسيين الذي هو ساطة ورياسة دينية ممنوعة في الاسلام بأن لا يعمل بقولهم  
الافي بلاد كثير فيه الحاسبون الموثوق بعلمهم بحيث ثبت عند الناس صدقهم اذا اتفقت  
تقاويمهم . وأما الخطأ الذي نراه في التقاويم المصرية اذ يقول بعضها ان أول الشهر  
يوم كذا ويقول الآخر بل يوم كذا فهو عن جهل بعضهم بهذا الحساب وأبان الشهر الشرعي  
هو غير الشهر الفلكي فان أول الشهر الشرعي هو الليلة التي يمكن ان يرى فيها الهلال  
كل مقتصد البصر اذا لم يحجبه سحاب أو غيره وانه يكون ثاني الشهر الفلكي في  
الأغلب واننا لنعلم يكفون بإمكان رؤية أي راء أو بامكان الرؤية في نفسها ولو من  
حديد البصر كان النبي (ص) قال فان غشم على مثل زرقاء اليمامة فأكلوا عدة شعبان  
ولكنه قال : فان غشم عليكم أي يا معشر المسلمين

### ﴿ رأي مشايخ العصر في ذلك ﴾

نحن نعلم ان المؤذنين في جميع الامصار الاسلامية يعتمدون في معرفة الاوقات  
على تقاويم الحاسيين وآلة الساعة لاعلى ماورد في الشرع من مراقبة الفجر وظل  
الشمس وغروبها وذهاب الشفق الأحمر وينكرون على من يخالف هذه التقاويم  
حتى ان العلماء ليكادون يوافقون العامة على الإنكار في ذلك وقد كنا مرة مع بعض  
أكابر علماء الأزهر في الريف فأبصر مفتي الديار المصرية ان الشفق قد زال فقام  
الى صلاة العشاء فقال له بعض العلماء قد بقي الى وقت العشاء خمس دقائق قال المفتي  
قد زال الشفق ولم يبق شيء فوافق الآخرون بمد كلام وصلينا جميعا ولكنني رأيتهم  
بد السلام قد فتحوا ساعاتهم وقال بعضهم: الآن قد دخل الوقت : انهم صلوا على  
علم بأن صلاتهم صحيحة ولكن مع تأثر نفوسهم بمخالفة العادة التي جروا عليها ولا يخفى  
عليهم ان الشفق يختلف في بعض البلاد وفي بعض الاحوال عن بعض فاذا كان في  
في الافق رطوبة شديدة يختلف بقاؤه عن وقت الحفاف والتقويم تبني على الاحتياط  
كنا عند مختار باشا الغازي مع طائفة من المشايخ في دعوة رمضان فخرى حديث

ثبات رمضان والعمل بالحساب وبخبر التأخر اذ نقول ان العمل بهما غير جائز شرعا لانهما ليسا من اليات الشرعية فقال الباشا ان الله عظيم الشأن عرما كان يتلاعب به رؤساء الاديان السابقة في عبادات الناس فجعل عبادته هذه الامة متمسكة بالمشاهدة وهي رؤية الهلال في اثبات الصيام وبذلك يتساوى جميع الناس اذ لا يوجد في كل مكان حاسبون متقنون يوثق بهم ولكن اذا وجد في بعض البلاد احاسبون الذين يؤمن تزويرهم وخطأهم كأن وضعت الحكومة لهم مرسدا يصدر التقويم ويبين المواقيت تسهلا على الناس فأني مانع من العمل به وهو يقين ؟ فقال بعض المشايخ لا يجوز العمل بقول الحاسب لأنه غير شرعي وقال بعضهم لا يجوز لأنه لا يوثق به فانا نرى الحاسبين دائما يظلمون فالحساب لا يوثق به وقال بعضهم ان للحاسب ان يعمل بحسابه ولين صدقه ان يعمل بقوله عندنا ممشر الشافعية فقال الباشا ان الحساب قطعي لا يمكن ان يخطئ وذكركم لهم أمثلة حساية فلكية وقال ان من ذلك استحالة رؤية هلال في الليلة التي شهد شهودا في يوم بأنهم رأوه فيها لأنه كان تحت الاثني قطعا . وذكركم كاتب هذه السطور سبب حفظاً بعض الحاسبين على نحو ما تقدم وذكر من قال من أئمة العلماء بكون حساب الشمس والقمر قطعيا لا ظنيا كالامام الغزالي وقلت اذا كان يجب على من يصدق الحاسب ان يعمل بحسابه فانا نرى جميع الناس يصدقونهم في مواقيت الصلاة التي هي مواقيت الصيام في كل يوم من أيامه فأني فرق بين اثبات أول يوم من أيام الصيام وبين سائر الأيام من حيث بدايتها التي يجب فيها الامساك والشروع في الصوم . نهايتها التي محل فيها الانقطاع قال بعضهم : ان الشرع جعل اثبات أول الشهر برؤية هلال والافبا كان العدة : قلت وان الشرع جعل اثبات أول النهار برؤية الفجر والمؤذن الآن يؤذن في الوقت الذي يمينه الحاسب ففي الحديث الصحيح عند البخاري وغيره : « ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم » وكان رجلا أعمى لا يؤذن حتى يقال له أصبحت أصبحت أصبحت : فقال بعض المشايخ وهو من أعضاء المحكمة لشرعية ان هذا خلاف الشرع : ووافقه من في جانبه قالا لأنه يفيد ان الانسان يأكل الى وقت الفجر فقلت اي شرع يخالف قول الرسول ؟ أقول ان صاحب الشرع قال هذا في أصح الروايات عنه ويقال ان قوله يخالف للشرع ؟ وأزيد هنا ان الحديث رواه أحمد والبخاري ومسلم

وأصحاب السنن ما عدا الترمذي من حديث ابن مسعود صر فوعا وأحمد ومسلم والترمذي من حديث سمرة ابن جندب وتقدم لفظه وأحمد والشيخان من حديث عائشة وابن عمر ولفظه ما تقدم آنفا وفي رواية للبخاري وأحمد زيادة: فإنه لا يؤذن حتى يطالع الفجر؛ ووجهة القول هنا أنني أطلب الفقهاء بالفرقة بين اثبات أول رمضان وإثبات سائر مواقيته ومواقيت الصلاة وأقول يجب العمل بما ورد في السنة في الجميع ومنع العمل بالحساب وإجازته في الجميع الآن بينوا فرقا صحيحاً

ثم اتفقتا عند الباشا إلى الكلام في العمل بخبر التلفراف قال بعض الشيوخ لا يجوز العمل به لأنه ليس بينة شرعية ولأنه يجوز فيه الكذب فقلت إن اليهود يجوز عليهم الكذب أيضاً وشهادة الزور شائبة في هذا العصر ولم يهود الكذب في خبر التلفراف الرسمي الذي يرد إلى الحكومة ولا في غيره إلا نادراً، وأما كونه غير بينة فمنوع لأن الشرع لم يحصر البينة بشهادة الشهود فهذا العلامة ابن القيم قد حقق أن البينة في الشرع كل ما تبين به الحق على أن الكلام في الخبر بأن كذا قد ثبت عند القاضي مثلاً وأخبار التلفراف أصدق من أخبار الآحاد لأن عماله المخبرين مسؤولون يعاقبون على الكذب، وقال الباشا إن التلفراف يعمل به في الحرب التي تسفك فيها دماء الأتوف من الناس وتخرب البلاد فكيف لا يعمل به في الأخبار بإثبات العبادة التي لا يترتب عليها ضرر؛ وقال بعض المشايخ المالكية إن الشيخ عليشا أفق بجواز العمل بالتلفراف وقال الشيخ عبد الحائق المهدي الباصي إن والذي قد أفق بجواز العمل به لمن صدقه لكن لا يفي على خبره الزام ولا يصح للقاضي أن يحكم استناداً على خبره فمشاهدة الشهود لأجل الحكم الملزم قلت إن الصيام لا يتأني فيه الإلزام، وإن العبادة لا تحتاج في ثبوتها إلى حكم الحكام؛ فهذه القضية التي ينفقونها ويحكمون فيها بدخول الشهر ليثبت وقت العبادة بما لها لا يعرف لها أصل في الكتاب والسنة ولا حاجة إليها للإلزام وإنما يكفي إعلام الناس بأن الشهود شهدوا برؤية الهلال وإن يكون هذا الإعلام بحيث يثق به الناس وأكثر أهل القطر المصري يعلمون بإثبات الشهر بخبر التلفراف ولا يشكون فيه وأهل القاهرة يعرفون ذلك بسماع المدافع وإيقاد القناديل في المنائر وهي بمنى التلفراف. اه الحديث بإيضاح في بعض المسائل واختصار في بعض آخر فن أنكر مما كتبنا شيئاً أو كان عنده بيان آخر لا يعنى فليس له البتة نشره شاكرين